جامعة حضرموت

المؤتمر العلمي الرابع

النحو العربي :رؤية سيميائية

إعداد : الأستاذ الدكتور عبدالله محمد زين بن شهاب

جامعة سيئون ـ كلية التربية ـ قسم اللغة العربية

رقم الجوال والواتساب(٧٧٧٤١٤٥٥٤)

البريد الإلكتوروني bozeen@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان الورقة البحثية:النحوُ العربيُّ:رؤيةٌ سيميائيةٌ

الملخص

أ.د.عبدالله محمد زين بن شهاب(bozeen@gmail.com. ٧٧٧٤١٤٥٥٤)

أستاذ النحو والصرف . قسم اللغة العربية

كلية التربية . جامعة سيئون

الفكر اللغوي المعاصر تعددت رؤاه،وتنوعت جوانبه،وتشعبت اتجاهاته،وتماشى ذلك مع المنجزات اللسانية الهائلة التي شملت مجالات معرفية واسعة من خلال تلاقح الثقافات الإنسانية العالمية التي لم تعد محصورة في زاوية فكرية محددة.

ومن أبرز النتاجات اللغوية التي تمخَّضت عن هذا الحراك العلمي منقطع النظير ما ظهر جليا في المجال السيميائي(العلاماتي)،الذي لم يعد حكرا على اللغة وحدها،بل شمل الفكر الإنساني المعاصر ؛ومرد ذلك إلى طبيعة العلامة وكنهها،بوصفها ناقلةً لمجريات الحياة الاجتماعية والثقافية والفكرية التي واكبت المجتمع الإنساني في كل مراحله،فحياة الإنسان لا يكون لها شأن إلا بالعلامات ومدلولاتها.

إن للغة كيانها المنتظم المجسَّد في النظام الصوتي،والصرفي،والنحوي(التركيبي)،والدلالي،إلا أن المجال الدلالي حظي أكثر من غيره باهتمام الباحثين اللغويين،وماترتب بعد ذلك من مجالات أدبية على اختلاف مذاهبها ومشاربها النقدية،فغاص النقاد والمحللون في الأعمال الأدبية وأخضعوها للمنهج السيميائي،وبقي النظام النحوي . سيميائيا . غير منظور إليه إلا في دراسات محددة.

لذا جاءت هذه الورقة البحثية مسلِّطةً الضوءَ على جوانب بعينها في رحاب النظام السيميائي (النحوي)،مركِّزةً جُلَّ اهتمامها في محورين مهمين هما:

أ . سيمياء المصطلح النحوي.

ب . سيمياء الحركة النحوية.

ومع ذلك قد يبدو هناك سؤالٌ ملحٌّ يعدُّ محور هذه الورقة هو:ماعلاقة النظام النحوي(التركيبي) بموضوع السيمياء.؟.هذا التساؤل تتمحور إجابته في مجريات هذه الورقة،من خلال كيفية تجسيد المصطلح النحوي بوصفه

علامة دالة على مفهوم معين،يحمل في طياته موضوعا سيميائيا يتجسد في مدى الارتباط الحقيقي بين الدال والمدلول.

وكذلك العلامة النحوية . سيمائيا .،هي التي تحدد المعنى النحوي للتركيب اللغوي من خلال العلامات اللفظية أو المعنوية أو العدمية،وارتباط هذا المعنى بغيره من المعاني االأخرى داخل التركيب النحوي ذاته.

كل ذلك وغيره هو محور التناول في هذه الورقة من خلال تطبيقنا للمنهج السيميائي

(العلاماتي)،الذي سيُوصِلُنا في نهاية المطاف إلى أن المعرفة النحوية العربية بثرائها التراثي التليد ليست مقصورة على حفظ اللسان من الزلل والخطاء،وإنما من أهم مهامها الرئيسة التواصل بشقيه:الشفاهي(بالحوار أو المحادثة) أو الكتابي(بالنصوص المكتوبة).وكلا الأمرين يتطلبان تفعيلا للوعي السيميائي .

الكلمات المفتاحية:

السيمياء . العلامة . الدال والمدلول . المصطلح النحوي . الحركة الإعرابية .

بسم الله الرحمن الرحيم

النحو العربي:رؤية سيميائية

أ.د.عبدالله محمد زين بن شهاب

فكرة البحث:

ترتكز فكرة البحث على إيجاد علاقة حميمية بين علم النحو بوصفه منظومة معرفية متكاملة الحدود،وعلم السيمياء بوصفه علما يدرس العلامات داخل نظام معين،أو في مجال معين(١).من هذا المنطلق تبلورت فكرة هذا البحث بدراسة العلامات داخل النظام النحوي.

وفي هذا الإطار تبرز تساؤلات متعددة،تُمَثِّل في مُجملها محور البحث:

أ . هل يمكن للعملية النحوية أن تتخذ شكلا سيميائيا محددا؟.

ب . ما هي الأسس النظرية التي يمكن أن يتخذها النحو العربي في معالجة قضايا السيمياء(النحوية)،فكرةً ومنهجًا؟

ج . إذا سلمنا ابتداء أن للنظام النحوي علامات سيميائية،فما هي أبرز هذه العلامات،وما طبيعتها .؟.

إن هذه الورقة لن تخوض كثيرا في المفهوم الاصطلاحي للسيمياء ،أو معرفة جذورها التاريخية(التراثية) أوعلاقتها بالدرس اللساني،أو الدرس الدلالي ،فقد كفانا غيرُنا مؤونةَ البحث والتقصي في هذا الاتجاه(٢)،فمُبتغى هذا البحث إظهار النحو العربي بحلة منهجية(سيميائية) تكسو موضوعاته ومصطلحاته وتقسيماته،من خلال الربط الواعي بين الأصالة التراثية(النحوية) وما قدمه علم السيمياء من أطروحات فكرية(لسانية) تصب في هذا الاتجاه.

إن هذه الورقة لن تتناول كل الموضوعات النحوية بكل تقتسيماتها الكلية والجزئية،وإنما ستقتصر على دراسة بُعدين مهمين،من أبعاد الدراسة النحوية،تتمثل في:

أ . دراسة المصطلح النحوي،أو بعبارة أخرى دراسة (سيميائية المصطلح النحوي).

ب . دراسة الحركة الإعرابية، أو بعبارة أخرى دراسة (سيميائية الحركة الإعرابية).

ونعتقد أن هذين الموضوعين يشملان دراسة النحو في معظم أبوابه.ثم سنتناول بعد ذلك قضايا نحوية أخرى لها صلة وثيقة بالبعدين السابقين،موجهين إياها توجيها سيمائيا يتوافق مع طبيعة الدراسة التي نخوض غمارها.

لأجل ذلك نستطيع أن نتبين مسار البحث في النقاط الآتية:

١ . أسس ومرتكزات النظام النحوي السيميائي(مدخل نظري).

٢ . سيميائية العلامة النحوية .

٣ . سيميائية المصطلح النحوي.

٤ . سيميائية الحركة الإعرابية.

أولا:أسس ومرتكزات النظام النحوي السيميائي:(مدخل نظري):

عنيت بأسس ومرتكزات النظام النحوي السيميائي: المنطلقات الرئيسة التي يمكن من خلالها تبلور الفكرة السيميائية لتطبيقها على المادة النحوية

لسنا مغالين إذا قلنا إن لكل علم من العلوم سيمياء خاصة به،تميزه عن العلوم الأخرى،وذلك إذا أدركنا أن السيمياء نظام دقيق من العلامات أو الرموز التي يستخدمها ذلك العلم،وما بين هذه الرموز أو العلامات من علاقات متشابكة تشكل في نهايتها نظاما فكريا وتفاعلا إنسانيا،تُعرف به مجريات العلم وغاياته ومقاصده،سواء أكانت علوم تطبيقية أم علوم إنسانية،"ولكن تبقى سيمياء العلوم الإنسانية أخصبها في المناقشة والتحليل؛لما تتأثر فيها العلامات بالأنماط والأنساق السياقية "(٣)،لأجل ذلك ألفينا سيمياء اللغة وسيمياء الأدب اكتسبتا صفة الشيوع السيميائي لارتباطهما بالأنماط والأنساق السياقية،فسيمياء اللغة " تنطلق من مبدأ أن الكلمات في اللغة علامات لسانية صوتية،تدل على معان معينة."(٤)،وأن سيمياء الأدب " تنطلق من مبدأ أن الكلمات والتراكيب ..تكون علامات لما وراء معانيها اللغوية،فهي علامات على معنى المعنى. " (٥)

أما إذا جئنا للنحو ونظرنا إلى مهمته عرفنا أنه يُعنى بالقواعد التي ينبغي للمتحدث أن يطبقها؛حتى يبتعد عن الخطأ،ولا يقع فيه،وإذا أدركنا مفهوم الخطأ النحوي عرفنا بعد ذلك أن هذا الخطأ هو في حد ذاته " حدث طارئ على العلامة، من حيث هي علامة؛أي :في جانبها التمثيلي العرفي،كأن يتغير حرف منها،أو حركة إعرابية مما يغير المعنى ويخفيه،ويفقد الكلمة قيمتها في أن تكون علامة."(٦)

إن النحو العربي يسعى سعيا حثيثا للحصول على تركيب لغوي بعيد عن الأخطاء،من خلال الاعتماد على قوانين تركيبية صارمة،وهذا يعني أن النحو العربي حريص على إقامة نسق لغوي،ذي دلالات محددة،لعل من أولاها كونه دالا على إنتاج دلالة أخرى،من أبرز عناصرها (علامات) تحدد الصبغة التركيبية الجديدة ، "ليس لأن الدلالة مفقودة في الكلام العربي،مثل: (ضرب زيد عمرا)،ولكن من أجل إعادة إنتاج دلالة أخرى،تتشكل من خلال علامات،هي تلك المفاهيم والمصطلحات المعروفة،وسوف يكون لزاما على منتج هذه الدلالة أن يبين لنا كيف

نصل إلى إنتاجها بواسطة النظر في علاقة الوحدات في مابينها،ثم إيجاد القرائن والعلل،وإدراك المقاصد،وكيفية إنتاج المعنى،وبه تكون المعرفة النحوية (موضوعا سيميائيا) . "(٧)

إن النحو في مضمونه العام يعد معرفة أو منتوجا فكريا بوساطة العلامات،فالنحو ليس من مهماته فقط عصمة اللسان من الوقوع في اللحن،بل من مهاماته الأخرى مبدأ التواصل والاتصال سواء أكان شفهيا عن طريق المحاورة،أم كان كتابيا بوساطة النص المكتوب،وفي كلا الحالين يعد المنتوج اللغوي (النحوي) كمًّا هائلا من العلامات،كل علامة لها وظيفة سياقية و تركيبية ودلالية ،تؤدي هذه الوظائف في مجموعها معرفة معينة،وتشكل فكرا إنسانيا مميزا،كل ذلك يحصل إذا ما أدركنا أن النحو مجموعة من العلامات المتشابكة المتواصلة والمتعالقة، التي يؤدي كل منها إلى الآخر.(٨).

إن العلامة السيميائية في النتاج اللغوي بمختلف صنوفه، لا يمكن أن تنفصم عن العلامة في النحو،فالنتاج الأدبي والبلاغي مأخوذ من دلالة التراكيب اللغوية المستعملة في العمل الأدبي،أو مأخوذ من وصف الأحداث والشخصيات وما يدور بينها،والسيمياء في البلاغة لها علاقة وثيقة بطبيعة الترابط الدلالي بين الألفاظ،وما ينتج بعد ذلك من صور بلاغية في مجال التشبيهات أو الاستعارات أو المجازات بمختلف أشكالها وصنوفها،وكل ذلك يقوم على صحة التركيب النحوي،ويتوقف على طبيعة المعنى النحوي الذي يولّده هذا السياق اللغوي.

ومع هذا الارتباط الوثيق نلفي أن العلامة (السيميائية) في النحو لها ماهيتها الخاصة ،ولها حالاتها المتفردة،ذلك لأن سيمياء النحو تتناول دراسة العلامات المستعملة في بناء النظام النحوي ومابينها من علاقات،ولا أعني بالعلامات هنا الحركات الإعرابية ،أو علامات الاسم او الفعل أو الحرف التي أودعها النحويون كتبهم،بل أعني بالعلامة النحوية المصطلح النحوي بكل ما يعنيه من دلالة نحوية مستنبطة من الدلالة المجازية أو المعجمية وما يدل عليه بعد ذلك من إشارة إلى باب نحوي معين،وبمعنى آخر كيفية تتبع النحويين للمصطلح النحوي حتى بات عندهم يدل على علامة نحوية معينة هذه العلامة النحوية أصبحت تشير إلى كيان نحوي مستقل في المنظومة النحوية.

لذا نلفي أن النحويين قد بذلوا جهودا مضنية في تتبع تأصيل المصطلح النحوي والحكم الإعرابي تأصيلا سيميائيا دقيقا.

وما الاختلاف الحاصل بين المدارس النحوية في تبنيها مصطلحات نحوية متعددة إلا دليل قاطع على أن هذه المدارس نظرت إلى طبيعة المصطلح النحوي نظرة سيميائية،محمِّلة إياه دلالة نحوية معينة تتفق وهذه النظرة.

لأجل ذلك كان المصطلح النحوي علامة بارزة في النحو العربي، وملمحا على تطوره ومن ثم استقراره.

ثانيا:سيميائية العلامة النحوية :

العلامة تعني" كل إشارة مُدرَكة بإحدى حواس الإنسان،أو مُدْرَكة باستنتاجه العقلي،لها مدلول معين في ذهنه."(٩)

وقد ذكرت في ما تقدم أن البحث سيعالج سيميائيا موضوعين مهمين:المصطلح النحوي،والحركة الإعرابية،وهذه المعالجة تتطلب في حد ذاتها العودة إلى طبيعة العلامة اللغوية ومفهومها،فهي لاتعني الرمز الإشاري،ولا تعني الرمز الانفعالي(١٠)،بل تعني الرمز اللغوي(العلامة اللغوية)،التي تتكون أساسا من دال ومدلول،إضافة إلى ما تتضمنه العلامة النحوية من ميزة وخصوصية.من هنا يجب علينا أن ندرك أن علم النحو من أوثق علوم اللغة صلة بالسيمياء؛ " لأنه يدرس علامات الكلمة . وهي نفسها سيمى على مفهوم ومعنى معين . ضمن التركيب المفيد الذي يضفي عليها معنى نحويا يستوجب علامات إضافية زائدة."(١١)

وقد ذكرت سلفا أن العلامة في النحو لها تميز خاص،فهي لا تعني فقط الحركات الإعرابية،وإن كانت هي جزء داخل في دراسة النظام النحوي سيميائيا،لكن حقيقة العلامة النحوية في النظام العام للنحو العربي أنها تعني النظر إلى العلامة النحوية على وفق وظيفتها التركيبية والدلالية ،وانسجام ذلك مع طبيعة الدلالة النحوية داخل السياق التركيبي.

وعلى هذا الأساس السيميائي فإننا لا نستطيع أن نستغني أو نلغي أي علامة نحوية لها أثرها المباشر في بناء السياق النحوي،بما في ذلك العامل النحوي بوصفه " عنصرا بنائيا في الجملة،لا شيئا خارجا عنها"(١٢) .

ويؤدي بنا عدم الإلغاء لأي علامة نحوية إلى قضية مهمة تتمحور في أن العلامة النحوية تنقسم في الأصل إلى علامة رئيسة (جوهرية)،تنبع أساسا من الدلالة النحوية أو المعنى النحوي الذي تؤديه داخل السياق،ويشمل ذلك كل أقسام الكلام،وكل المصطلحات النحوية(التركيبية)،وهناك علامة هي في أصلها شكلية ،تخص الشكل الخارجي " بغض النظر عن الدلالة أو الصورة الذهنية المتشكلة عند سماع النمط اللغوي. "(١٣).

واستنادا لذلك فإن المنهج السيميائي لدراسة المادة النحوية يؤدي بنا إلى " تحديد دقيق لمعاني النحو ومصطلحاته،من خلال تفصيل العلامات التي تميز بعضها بعض،ولما تؤديه العلامات .. من وظائف نحوية،إلى جانب كونها علاقات ذات دلالات."(١٤)

ثالثا:سيميائية المصطلح النحوي:

ترافقت نشأة المصطلح النحوي بنشأة النحو العربي،لأجل ذلك حاز على مزيد من العناية والاهتمام، "فكان عند القدماء هوية فكرية لانتماء النحوي لمذهب دون آخر،كما كان ساحة وارفة الظلال لمن أراد أن يدلو دلوه

بالجديد،فكانت المصطلحات هي الأقدر لتقبل التجديد واستيعابه،كما كانت أيضا ملمحا بارزا من ملامح تطور النحو واستقراره."(١٥)

ومن هذا المنطلق يعد المصطلح النحوي أداة فكرية تعبر عن مضمون النحو ومفهومه،وتؤصِّل أُسُسَه،ولسنا هنا بصدد إعادة ماقيل فيه،وإنما همُّنا هنا أن نقرأ المصطلح النحوي قراءة أخرى،تتجسد في كونه علامة نحوية تحمل دلالة لمضمون نحوي محدد.

والسؤال الذي يضع نفسه في هذه الأثناء هو:لماذا حصل تعدد واختلاف في المصطلح النحوي،ولماذا تبنَّت كلُّ مدرسة نحوية مصطلحا نحويا خاصا بها.؟

تظهر الإجابة عن هذا التساؤل لتكون إجابة سيميائية تنطلق من أن النحويين حمَّلوا هذه المصطلحات " الطاقة التأويلية بما يتماشى ومذهبهم،واستند النحاة إلى العلاقة بين الدال والمدلول فيها،وجعلو المصطلح نفسه موضوع خلاف،فكل جماعة تريد ان تتبنى المصطلح،ولكن تحمله الشحنة الدلالية التي تريدها من خلال المذهب،عندئذ تصبح وظيفة المصطلح مزدوجة:التعيين والتأويل. "(١٦)،إذن المسألة في حد ذاتها تتمحور في علاقة الدال بالمدلول،بمعنى آخر تتركز في قضية علاقة العلامة بموضوعها،وطريقة تأويل العلامات في ما تعبر عنه،ومن هنا تعددت المصطلحات النحوية،فمصطلح نحوي بصري،لا نجده لدى المدرسة الكوفية،وقد يكون العكس،وربما بلغ الأمر أكثر تعقيدا،فقد نلفي مصطلحا بصريا لم يتفق عليه البصريون،ومصطلحا كوفيا لم يأخذ به الكوفيون جميعهم.

ويرتبط كل ما ذكر ارتباطا وثيقا بقضية مهمة تُعدُّ من أهم قضايا تشكُّل المصطلح،إنها قضية توليد الألفاظ الجديدة والمعاني الجديدة،فعندما يُولَدُ مصطلحٌ جديدٌ فإن ذلك يعني ولادة لفظة جديدة،وعلى هذا يكون التوليد مرتبطا باللفظ والمعنى،فتتولد بعد ذلك ألفاظ جديدة،تصحبها معان جديدة،تتأهل بعد ذلك لأن تكون مكتسِبة صفةَ المصطلح.

وبذلك تتعدد المصطلحات داخل المدرسة النحوية نفسها،أو في مدرستين نحويتين أو أكثر،إذ إنه يمكننا أن نعد كل واحد من هذه المصطلحات علامة سيميائية محددة ، واستنادا لهذه العلامات السيميائية المتنوعة نستطيع أن نتجاوز إشكالية التعدد المصطلحي في إطار الدرس النحوي،إذا ما أخذنا بنظر الاهتمام أن كل مصطلح من هذه المصطلحات يحمل في طياته وعيا سيميائيا(علاميا) ،تتجسد فيها قضية الدال والمدلول،والعلامة بموضوعها،وحركية التحول المصاحبة لهذا المصطلح أو ذاك(١٧).

إننا في هذا الاتجاه لا نستطيع أن نستقصيَ كلَّ المصطلحات النحوية التي جرى فيها التعددُ والاختلاف،فموضوعنا ليس له علاقة بدراسة إشكاليات المصطلح النحوي،أو البحث عن أسباب الخلاف فيه، فهناك دراسات كُثُرٌ قد تناولت هذا الموضوع بشيء من التحليل(١٨)،وإنما يهمُّنا هنا توجيه المصطلح النحوي توجيها سيميائيا،بوصفه يمثل علامة سيميائية بارزة في الدرس النحوي،فليس الغاية من البحث استقصاء جميع المصطلحات بل الغاية الرئيسة هي الكشف عن فاعلية العلامة . سيميائيا . وربطها بالمصطلح النحوي بوصفه مُنتَجًا سيميائيًا فريدا من نوعه.

فنأخذ من ذلك على سبيل المثال لا الحصر المصطلحات النحوية الآتية:

فمثلا مصطلح (البدل) الذي استقر عند سيبويه في كتابه ،فقال: " هذا باب بدل المعرفة من النكرة،والمعرفة من المعرفة."(١٩)،وربما استخدم (عطف بيان)(٢٠) على مذهب "كل ما جاز أن يكون عطف بيان،جاز أن يكون بدلا."(٢١)،وتابع سيبويه في مصطلحه هذا مجموعةٌ من النحويين،منهم:الأخفش الأوسط في(معاني القرآن)،والمبرد في المقتضب،وابن السراج في أصول النحو،وغيرهم(٢٢).

في حين أن الكوفيين لهم استعمال مصطلحي آخر في هذا الباب،من ذلك:

مصطلح (الترجمة) (٢٣) الذي جاء عند الفراء في معاني القرآن،ومصطلح (التكرير)(٢٤)،ومصطلح (المردود)(٢٥)،ومصطلح (التفسير)(٢٦)،كل هذه المصطلحات وردت عند الفراء في كتابه (معاني القرآن).

وهناك مصطلح آخر ذكره الأشموني نسبه للكوفيين وهو مصطلح (التبيين)،ومن اللافت للانتباه أن المبرد لم يجد غضاضة في استعماله في كتابه المقتضب(٢٧).

وعلى هذا يكون لمصطلح البدل مصطلحات أخرى تماثله في بابه :

البدل = الترجمة = التكرير = المردود = التفسير = التبيين.(٢٨)

فهل يعني هذا أن النحويين لم يكونوا على دراية بما يقومون به،وهم يستخدمون هذه المصطلحات المتنوعة لمدلول نحوي واحد هو البدل.

إنهم يعُون كلَّ الوعي بما يفعلونه،فأرادوا بكل مصطلح علامة سيميائية محددة،تتصف بطابع دلالي محدد،لا شك أنها تختلف عن الآخر.

فكل مصطلح من مصطلحات البدل هي علامة سيميائية لها مدلولها الخاصُّ بها.

ومثل هذا يقال أيضا في :

ضمير الشأن = ضمير القصة = ضمير الحكاية = الأمر = المجهول(٢٩).

والمفعول المطلق = الحدث = الحدثان = المصدر = الفعل.(٣٠).

والعطف = النسق = الإشراك (التشريك)(٣١).

فكل هذه المصطلحات المتعددة تُعدُّ مُسميَّاتٍ لمسمًّى واحد، يحمل كلُّ مسمًّى دلالةً مستقلةً تميزه عن الأخرى،بمعنى آخر: هناك علامة سيميائية ليست مرادفة لأختها،بل تمثل استقلالية دلالية تختلف عن الأخرى،وفي هذا يقول أبو هلال العسكري: "كل اسمين يجريان على معنى من المعاني،وعين من الأعيان في لغة واحدة،فإن كل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر،وإلا كان الثاني فضلا لا يُحتاج إليه. "(٣٢)

وتتأكد هذه الحالة أكثر عندما نقف على مصطلحات بصرية تقف بإزائها مصطلحات كوفية،هي على النحو الآتي(٣٣):

المصطلح البصري	المصطلح الكوفي
ضمير الفصل	ضمير العماد
لا النافية للجنس	لا التبرئة
الجامد	الاسم الثابت
حروف الجر = حروف الإضافة	حروف الصفات
النداء	الدعاء
اسم الفاعل	الفعل الدائم
ضمير الشأن	المجهول

إن هذه الحركة الدائبة المستمرة من العلامات النحوية المجسَّدة في تنوع المصطلح النحوي لَيُعطي انطباعا قويا أن النحو كيان قائم بذاته يحوي على منظومة (حركية)لا تقف عند حد معين،هذه المنظومة المتحركة نلفيها تتجه اتجاهات دلالية متعددة،تحمل في طياتها بُعْدا علاماتيا ووعيا بقيمة العلامة النحوية في سياق النص اللغوي.

لأجل ذلك كان النحويون سواء أكانوا بصريين أم كوفيين على وعي تام بما يقومون به،وبما يضعون من مصطلحات،فليس من باب الترف النحوي أن يضعوا مصطلحين أو مصطلحات متعددة لشيء معين،ولا يعني هذه التعدد المصطلحي ترادفا لفظيا،بل يؤدي كلُّ مصطلح في سياقه النحوي معنًى نحويًّا محددا يختلف عن مفهوم المصطلح الآخر.

ولْنقل يحمل شحنةً دلاليةً محددة تختلف عن الشحنة الدلالية الأخرى.

فإذا ما أخذنا على سبيل المثال لا الحصر مصطلحا نحويا محددا وليكن النداء . مثلا . فإننا نجد هذا المفهوم النحوي في سياقه النحوي يحمل معنى (علاماتيا)،دلاليا محددا يختلف عن مفهوم الدعاء،الذي يعطي معنى دلاليا آخر ومن ثم سيميائيا، يختلف عن مفهوم النداء،وفي هذا السياق جاءت الآية الكريمة {ومَثَلُ الذينَ كفرُوا كَمَثَلِ الذي يَنْعِقُ بما لا يَسْمَعُ إلا دُعاءً ونِداءً}(٣٤)

فقد ميزت الآية الكريمة بين الدعاء والنداء،قال الآلوسي في روح المعاني معلِّقا على هذه الآية: " وقيل:إن الدعاء ما يُسمع،والنداء قديُسمع وقد لا يُسمع،وقيل:إن الدعاء للقريب،والنداء:للبعيد."(٣٥)

ويقول أبو البقاء الكفوي: " والدعاء لا يقال إلا إذا كان معه الاسم،نحو:يافلان،بخلاف النداء،فإنه يقال فيه:

(يا) و (أيا) من غير أن يُضمَّ إليه الاسم. " (٣٦)،ويقول أيضا: " النداء:رفع الصوت وظهوره،"(٣٧)،وهو "للاستحضار دون تحقيق المعنى. " (٣٨).

فكل هذه الدلالات جعلت من مصطلحي النداء والدعاء مفهوما قائما برأسه،وإن كان بينهما قاسم دلالي مشترك.فكان النداء عند البصريين يتخذ معنى عاما في النداء،أما الدعاء عند الكوفيين فيتخذ شكلا آخر من أشكال النداء،وهو النداء الخاص.

وهكذا إذا أخذنا أغلبَ المصطلحات البصرية والكوفية أخْذًا سيميائيا ألفيناها علاماتٍ محددة،كل علامة فيها تؤدي وظيفةً نحويةً تختلف عن الوظيفة الأخرى،فمثلا :اسم الفاعل في المصطلح البصري يدل على " الصفة الدالة على فاعل الحدث،الجارية في مطلق الحركات والسكنات على المضارع من أفعالها،في حالتي التذكير والتأنيث،المفيدة لمعنى المضارع أو الماضي."(٣٩)،في حين أنه عند الكوفيين فعل،سمَّوْه بالفعل الدائم،وهو قسيم الماضي والمضارع(٤٠).فهو عندهم ،يمثل علامة سيميائية محددة.

ولولا أن المقام سيطول بنا،لأخذنا كلَّ مصطلح وحده،ولأرينا أنه يمثل وحدةً سيميائية مستقلة،لها كيانها الخاصُّ،وبخاصة في المصطلحات الكوفية الخالصة التي لم يعرفها البصريون،وفي المصطلحات البصرية الخالصة التي لم

يعرفها الكوفيون.وحتى في المصطلحات الكوفية البصرية التي تتخذ اسما عند الكوفيين،واسما عند البصريين لوجدنا فيها اختلافا سيميائيا أيضا.

واستنادا لما مر ذكره في دراسة (سيميائية المصطلح النحوي) تبين لنا أن المصطلح النحوي يتولَّد بفعل مفهومه النحوي عند البصريين والكوفيين،وأعني بمفهومه النحوي الوظيفة النحوية التي يحملها كلُّ مصطلح،في سياق نحوي معين،فاسم الفاعل عند البصريين ليس كالفعل الدائم عند الكوفيين،والنداء عند البصريين ليس كالدعاء عند الكوفيين،ولام الابتداء عند الكوفيين ليست كلام الابتداء عند البصريين ،واسم الفعل عند البصريين ليس كاسم الفعل عند الكوفيين(٤١)،ومن هنا يتضح لنا جليا أن علم النحو يجسِّد بنيةً علاماتيَّة في نسقه وفي نظامه " وهذا يعني أنه نسق في داخله متحرك (أي في تكوينه)،وفي خارجه متحرك(أي في إنجازه)."(٤٢)

فهذه طريقة من طرائق تشكل المصطلح النحوي . سيميائيا .،وهناك طريقة أخرى يتشكل على إثرها المصطلح النحوي . سيميائيا . ،وهي تشكله بأثر المجاز(٤٣)،إذا ما أخذنا بنظر الاهتمام أن المجاز هو " وضع اللفظ في غير ما وضع له ،مع وجود قرينة مانعة من إرادة الوضع الأصلي. " (٤٤).

وعلى هذا فإن كلمة المجاز في هذا الاتجاه " تشير إلى استعمال طريقة معينة في تركيب الكلمات مغايرة للوضع؛ من أجل هدف دلالي وتداولي،أي القدرة على تعبئة العلامات،من أجل عدم الوقوع في العلامات الفارغة التي يجسدها المهمل."(٤٥)

وهذا ما يتجسد جليا في غير واحد من المصطلحات النحوية كمصطلح النحو،والحرف،والبناء،والرفع والتمييز،والقَسَم،والظرف،والعطف،وغيرها.(٤٦).

ونظرا لكثرة هذه المصطلحات فإن الورقة البحثية اختارت مصطلحين منها هما (الظرف)،و(العطف)،لإعطاء صورة واضحة عن أثر المجاز في تشكيل المصطلح النحوي،بوصفه علامة سيميائية نحوية يرتكز عليها علم النحو.

ونحن في ورقتنا هذه ليس غايتنا استقصاء جميع المصطلحات،بل الغاية الرئيسة الكشف عن قوة فاعلية المجاز في تشكيل العلامة النحوية سيميائيا.

أ . مصطلح الظرف:

قال الزمخشري في أساس البلاغة : " ظَرُفَ فيه ،ظَرْفٌ وظرافة:كَيْس وذكاء. " (٤٧)،وقال ابن منظور في لسان العرب: " الظريف:البليغ من الكلام،..،والظريف:الحَسَنُ الوجه واللسان....والظُّرْفُ في اللسان: البلاغة،وفي الوجه :الحُسن،وفي القلب: الذكاء،والحلاوة :في العينين..."(٤٨)،ومن معانيها أيضا(الوعاء):" ....وهو الوعاء،كأنه جعل الظريف وعاءً للأدب ،ومكارم الأخلاق."(٤٩)

فالظرف إذن دال على الحسن في الوجه واللسان،والذكاء في القلب،والبراعة والكياسة،وهو الوعاء للشيء،أما في انتقال اللفظة من الدلالة اللغوية إلى الدلالة الاصطلاحية فاختصت بمعنى واحد من هذه المعاني؛لتكتسب من هذا المعنى الصفة الاصطلاحية أو التعريف الاصطلاحي للفظة (الظرف)،الذي هو الوعاء،لذا عرَّف النحويون الظرف بأنه " المفعول فيه،كل اسم من أسماء الزمان والمكان،يراد فيه معنى (في)،وليست في لفظه،وقيل:ما كان وعاء للشيء ،زمانا أو مكانا." (٥٠).

من هنا يظهر أن هناك ثمة علاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي،تتجسد في أن الاصطلاح النحوي أخذ دلالة الوعاء تجوُّزا؛دلالة على بعض الألفاظ التي تدل على الوعاء،فبما أن الوعاء يحتوي الشيء، فكذلك الظروف سواء أكانت زمانية أم مكانية تحتوي على الأحداث،فيصح أن تفسر بمعنى (في)؛لدلالتها على الظرفية،الدالة على الاحتواء.من هنا كان الانتقال من دلالة(الظرف)على (الوعاء) في المفهوم اللغوي إلى دلالة الاحتواء الوعائي في المعنى الاصطلاحي حدثَ بفعل المجاز.(٥١)

وعلى هذا نلفي ان الانتقال بالكلمة من معناها اللغوي إلى معناها الاصطلاحي يؤكد أن عالِم النحو كان واعيا تماما بطبيعة العلامات السيميائية (النحوية)،حتى تؤدي مهمتها الاصطلاحية في سياق النحو،فالدلالة اللغوية في أصل وضعها تمثِّل علامة سيميائية أولى،والدلالة الاصطلاحية تمثل علامة سيميائية ثانية.

لذا نستطيع القول بأن المجاز يتيح فرصةً سانحةً للكلمات أن تعبر عن مدلولات جديدة،هي بحد ذاتها تعد علامات سيميائية ذات أهمية قصوى تشير إلى قضية تطور العلامة السيميائية،والانتقال بها من طور دلالي إلى طور دلالي آخر.

ب . مصطلح العطف:

والشيء نفسه نلفيه في مصطلح (العطف)،فالعطف لغة هو الثني والميلان،قال الراغب الأصبهاني :" العطف يقال في الشيء إذا ثُنِّي أحدُ طرفيه إلى الآخر،كعطف الغصن والوسادة والحبل." (٥٢)،وقال الزمخشري في أساس البلاغة:" ظبية عاطف ،تعطف جيدها إذا ربضت،..ثُنِّي عن عِطْفه:أعرض."(٥٣)،أما في الاصطلاح النحوي فقد عرفه النحويون بقولهم :" اشتراك شيئين في تأثير عامل بتوسط آلة،هي عوض عن العامل،وقيل:ردُّ ثانٍ على أول بواسطة حرف العطف."(٥٤)

فهل ثمة اشتراك دلالي بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي؟،نعم تبدو العلاقة واضحة بينهما، فدلالة العطف على الثني والميلان يمكن أن تتجسد في العلاقة القائمة بين المعطوف والمعطوف عليه،فالمعطوف يُردُّ على المعطوف عليه،وذلك باشتراكهما في الحكم النحوي بوساطة حرف العطف،فالمعنى الاصطلاحي لمفهوم العطف له صلة

وثيقة بالمعنى اللغوي.(٥٥) " فالعطف في اللغة علاقة تقوم بين معطوف ومعطوف عليه في صفة الإشفاق أو الترحم أو الميلان،وفي المفهوم النحوي علاقة تقع بين اسمين أو فعلين،بوساطة عدد من الحروف في صفة الاشتراك في أثر العامل."(٥٦)،فوجه الشبه هو الذي سوَّغ استعارة اللفظة بما تحمله من معنى الثني والميلان لاكتسابها صفةً اصطلاحيةً في مابعد.(٥٧).

فالعطف اللغوي يمثل علامة سيميائية محددة،تطورت هذه العلامة إلى أن أصبحت تدل دلالة اصطلاحية على مفهوم آخر،يعد علامة سيميائية ثانية.

وهكذا نستطيع من خلال المجاز أن تتنوع لدينا العلامات النحوية في كل باب من أبواب النحو،فأصبح المجاز في هذه الحالة مولِّدا للمصطلح النحوي،يتيح لهذا المصطلح أو ذاك حرية الحركة،من المعنى المعجمي إلى المعنى الاصطلاحي،يقول عبدالسلام المسدي متحدِّثا عن المجاز: "يعد أداة اللغة لإنجاز التحول الدلالي الذي يتحرك بموجبه الدال،فينزاح عن مدلول قديم،مدلولا قائما أو مستحدثا،فيصبح المجاز جسر العبور،تمتطيه الدوال بين الحقول المفهومية."(٥٨)

من هنا يعد المجاز وسيلة مهمة من الوسائل المنتجة للعلامات،ومنها المصطلحات النحوية التي تعد علامات كبرى في الدرس النحوي،يظهر من خلالها أن النحو يعد بنية علاماتية في نظامه ونسقه(٥٩)،ويظهر أن النحو بنظامه وكينونته ليس فكرا شكليا،بل هو فكر رابط للعلاقات الوظيفية بمحتواها الفكري،لأجل ذلك ألفينا النظام المصطلحي في النحو نظاما يقوم على الفكر السيميائي،يؤدي فيه كلُّ مصطلح . بغض النظر عن المذهب الذي ينتمي إليه هذا المصطلح . دلالةً سيميائيةً محددة،لذا كان الفكر السيميائي متجاوزا الحدود الزمانية والمكانية للمدارس النحوية،لأن السيميائية تنظر إلى النحو بوصفه يمثل كيانا معرفيا شاملا.

<u>واستنادا لما تقدم في هذا الشأن نخلص إلى الآتي:</u>

أ . إن دراسة المصطلح النحوي دراسة سيميائية يؤدي إلى ربط المصطلحات النحوية بالمعاني والدلالات،فغير واحد من دارسي النحو يرددون مصطلحات نحوية كثرا،ولكنهم لا يربطونها بدلالاتها ومعانيها،لذا كان حريا أن تدرس المصطلحات النحوية وحتى الصرفية بطريقة متكاملة،مع ترتيب هذه المصطلحات على وفق منهجية سيميائية تُمكِّن من فهم مسائل النحو وأبوابه فهما دقيقا.

ب . إن دراسة المصطلح النحوي دراسة سيميائية يجعلنا لا نستغني عن أي مصطلح نحوي،بمعنى أن المصطلح النحوي سيميائيا يدخل في دراسة الفكر النحوي،بوصفه فكرا معرفيا " الهدف منه هو معرفة

اللغة،وقوانينها،ونظامها الخاص،لا تعلم النطق بها حسب،وهذا ما جعل سيبويه يصف وظيفة النحوي بأنها تفسيرية،أي :تفسير الكلام في ضوء ما اكتشفه النحوي من نظام اللغة وقوانينها." (٦٠)

ج . إن العلاقة بين الدلالة اللغوية والدلالة الاصطلاحية للمصطلح النحوي ليس علاقة اعتباطية،وإنما هي علاقة تخضع لارتباطات ذهنية سيميائية لدى مستخدم هذا المصطلح أو ذاك،وتلك الارتباطات الذهنية السيميائية ترتد إلى طبيعة العلامات اللسانية في اللغة ذاتها؛سعةً وشمولا.

رابعا: سيميائية الحركة الإعرابية:

لسنا هنا بصدد التوغل في مفهوم الإعراب وبيان أهميته في الدرس النحوي،ولسنا بصدد متابعة مؤيديه ومعارضيه،فقد تُكُلِّم عن ذلك كثيرا،وإنما همُّنا هنا تسليط الضوء على طبيعة الحركة الإعرابية،بوصفها علامة سيميائية مهمة تتسلط على أواخر الكلمات لتبيان المعنى النحوي المراد ،وبوصفها علامة مميزة للأفعال والأسماء.

من هنا تُعَدُّ الحركةُ الإعرابيةُ جوهرَ العملية النحوية،فمن خلالها يُفهَمُ الكلامُ الصحيحُ نحويا من الكلام غير الصحيح،وبها يتميز الفعل عن الاسم،ويُعْرفُ المبنيُّ من المعرب،وبها يتشكل المعنى،وتتغير وجهة التركيب؛لأنها تعد " أهم قرينة نحوية يُستدلُّ بها على المعاني النحوية."(٦١)

سيميائية الحركة الإعرابية:ماهيةً ودلالةً:

قال منظور: " الحركة ضد السكون."(٦٢)،وهي بهذا تعد أثرا للتحرك(٦٣)،فتتحرك العوامل ويكون بإثرها الحركة،فلا حركة من غير تحرك عاملي داخل الجملة النحوية،من هنا كانت الحركة الإعرابية مظهرا تحققه العوامل اللفظية والمعنوية،فيأتي أثرها العاملي من خلال الحركات الإعرابية:الضمة أو الفتحة أو الكسرة،وكلٌّ منها يمثِّل حالةً إعرابيةً محددة،فالضمة تمثل الرفع،والفتحة تمثل النصب،والكسرة تمثل الجر،وقد تأتي أصلية ،وقد تنوب عنها حروف معينة،كنيابة الواو في الأسماء الخمسة،والألف في المثنى عن الضمة،ونيابة الألف في الأسماء الخمسة،والياء في جمع المذكر السالم والمثنى عن الفتحة،ونيابة الياء في جمع المذكر السالم والمثنى والأسماء الخمسة عن الكسرة(٦٤).

وعلى هذا تكون الحركة الإعرابية سيميائيا هي الأصل،وما ناب عنها بعد ذلك يعد فرعا عنها،فالواو عندما ينوب عن الضمة،والألف عندما ينوب عن الفتحة،والياء عندما تنوب عن الكسرة،فإنما هي فروع نابت عن أصول،صحيح أن العلامة الإعرابية تدل على العموم،والحركة الإعرابية تدل على الخصوص،ولكن لما كان الأصل في العلامة الإعرابية أن تكون حركة فعُدَّتِ الحركة في تقديري حينئذ أصلا سيميائيا،وما نابت عنه يعد فرعا عنها.

فالحركة الإعرابية بهذه المثابة تمثل القلب النابض للنظام النحوي برمَّته،إذ لا نستطيع معرفةَ الموقع الإعرابي لأيٍّ من مكونات التركيب إلا بها،فالاسم له أحوال إعرابية متعددة،والفعل له حالات إعرابية متعددة،وكذلك الحرف له حالات بنائية متعددة،كل ذلك مرجعه إلى الحركة الإعرابية.وأيا كان الخلاف في طبيعة هذه الحركات نشأة وتطورا وتشكُّلا ومقصِدا فإنها كلها تعد علامات سيميائية لحركة السياق التركيبي ،فلولاها لالتبست المعاني واضطرب داخل هذا السياق أو ذاك،لأجل ذلك كانت الحركة الإعرابية لها غرض سيميائي يتجسد في بيان معاني اللغة وما تشابه منها،وفي هذا الاتجاه يقول ابن جني في الإعراب : " هو الإبانة عن المعاني والألفاظ،ألا ترى أنك إذا سمعت: أكرمَ سعيدٌ أباه،وشكرَ سعيدًا أبوه،علمتَ برفع أحدهما ونصب الآخر،الفاعل من المفعول،ولو كان الكلام شرحا واحدا لاستبهم أحدهما من صاحبه."(٦٥)،واستنادا لهذه المقصد السيميائي للحركة الإعرابية ،فإن هناك مقصدا آخر للحركة الإعرابية وهي تبيين غرض المتكلم وتوضيحه ، فإذا قال أحدهم : (ما أحسنْ زيدْ)غير معرب،فإنه لا يوقف على مقصوده وغرضه،فإذا قال: (ما أحسنَ زيدا!) تكون (ما) تعجبية،وإذا قال (ما أحسنُ زيدٍ؟)،تكون (ما) استفهامية،وإذا قال(ما أحسنَ زيدٌ)تكون (ما) نافية(٦٦)،لأجل ذلك كانت الحركة الإعرابية علامة سيميائية تدل على مقصود المتكلم،فهي بحد ذاتها دالة على المعنى،وليست هي المعنى بعينه.

هناك أمر آخر مهم في دراسة سيميائية الحركة الإعرابية يمكن استنتاجه من المقصدين الأولين، وهي قيامها بتحديد جملة الوظائف التركيبية في السياق،من فعل (وبخاصة الفعل المضارع ،والفعل الماضي في حالاته البنائية المتعددة:بناؤه على الفتح،وبناؤه على السكون،وبناؤه على الضم) وفاعل ومفعول،ومبتدأ وخبر ونحو ذلك،فالحركة الإعرابية تضطلع بهذه المهمة السيميائية في التمييز بين الوظائف التركيبية للعناصر المكوِّنة لهذا التركيب.

إذن هناك ثلاثةُ مقاصدَ سيميائية رئيسة من الحركة الإعرابية:

المقصد الأول:الحركة الإعرابية دالة على بيان معاني اللغة وما تشابه منها.

المقصد الثاني:الحركة الإعرابية دالة على بيان غرض المتكلم ومقصوده.

المقصد الثالث:الحركة الإعرابية دالة على تحديد الوظائف التركيبية.

سيميائية الحركة الإعرابية:نطقًا وذوقا صوتيا جماليا:

إذا نُطق بالضمة فإن الشفتين تُضم،وإذا نُطق بالفتحة فإن الشفتين تنفتح،وإذا نُطق بالكسرة فإن الشفة السفلى تنكسر إلى الأسفل.

فضم الشفتين،وانفتاحهما،وانكسار إحداها تعد إشارت ترمز سيميائيا لهذه الحركات،فانضمام الشفتين علامة على إحداث الضمة،وانفتاحهما علامة على إحداث الفتحة،وانكسار أحَدِهما علامة على إحداث الكسرة.

فحركة الشفتين تؤدي وظيفة سيميائية تُحدَّد على إثرها نوع الحركة الإعرابية الصادرة صوتيا؛لأن الحركات في أصلها " عبارة عن أصوات تلحق الأصوات الصامتة فتحركها عن سكونها."(٦٦)،وأن هذه الأصوات تقوم بأداء وظيفتين رئيستين هما : وظيفة صوتية ، و وظيفة نحوية(٦٧)،ولا يبعد أن تكون هناك وظيفة أخرى تتجسد في وجود علاقتين بين الوظيفة الصوتية والوظيفة النحوية،فلا يبعد أن العرب استعملوا صوت الضمة للدلالة على التضام بين ركني الجملة :المسند والمسند إليه ،أو بين المبتدأ والخبر،أو الفعل وفاعله،فكلها كالشيء الواحد،متضامنان متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر،وإذا ذكر أحدهما فلا بد أن يذكر الآخر.(٦٨)،وكذلك الشيء نفسه في الفتحة والكسرة،قال الأستاذ أحمد الأخضر غزال : " حركة الفتح:أي التأثير على العالم الخارجي،وهو عمل صادر عن الإرادة،مثل ضَرَب وقَتَل وخَرَج ونَطَح وقَطَع وأَكَل ودَخَل وصَرَع ...،وكلها أفعال مفتوحة العين؛لأن الفتحة تدل على العمل الصادر عن الفاعل بإرادة منه حقيقة أو مجازا. ثم حركة الكسرة ،أي التأثر الذي يحصل للفاعل من طرف العالم الخارجي،فالكسر والخسر والقصر والخزل كلها بمعنى حصول الشيء للفاعل المغلوب المقهور،فالفعل المكسور العين يدل على كل ما يحصل للفاعل بدون إرادة منه،حقيقة أو مجازا،مثل:مَرِض وحَزِن وعَطِش وعَلِم وفَرِح وسَقِم وعَسِر وحَدِب وجَزِع ... ،ثم الضم والطم والتم وكلها تدل على التجمع والكثرة والدوام والثبات :كـ(حَسُن وخَشُن وكَبُر وصَغُر وقَرُب وعَرُج وعَوُر ودَخُن وشَرُف وكلها بمعنى حصول الشيء للفاعل لا حصولا طارئا أو مؤقتا كما هو في فَعِل،بل بكثرةٍ ودوامٍ وثباتٍ ونهاية."(٦٩).

لكن لماذا تدل الفتحة على العمل الإرادي،والضمة تدل على التراكم والتفاقم والسكون والركود،والكسرة تدل على الانكسار والخضوع.(٧٠)

أجاب الأستاذ أحمد الأخضر غزال عن هذا السؤال السيميائي قائلا :" فلماذا الفتحة تدل على العمل الإرادي؟لأن فكي الفم عند إخراج صويتة الفتحة يبتعدان الواحد عن الآخر،وما الذي يبعدهما؟ثلاث عضلات:الأولى عضلة قوية جدا عريضة وغليظة،تسمى الماضغة،وعضلة ثانية تساعد الاولى،وهي الجناحية،وعضلة ثالثة،وهي الصدغية،تساعد الثانية.

إذن ثلاث عضلات قوية لرفع الفك الأسفل حتى يتمكن الفم من العض والقطع للمأكولات،وهذه العملية عملية إقفال الفم هي أساس حياة الرجل لتلبية حاجته الأساسية ليعيش.

أما إبعاد الفك السفلي عن الفك العلوي فتقوم به ثلاث عضلات كذلك،إلا انها ضعيفة،وهي ذات البطنين،والضرسية الامية،والذقنية الامية،فعملية الإقفال إذن بفضل عضلاتها القوية أسهل وأيسر من عملية الفتح الضعيفة العضلات،فإخراج الفتحة أصعب من إخراج الضمة ،التي تقتضي فتحا أقل من الذي للفتحة،وهي

أصعب بدورها من الكسرة التي تقتضي انفتاحا قليلا للفم،حتى إن صويتة الكسرة قد تخرج ويكاد الفكان يكونان منطبقين،الواحد على الآخر."(٧١)

فنحن إذن أمام توجيه صوتي دلالي . سيميائي . متفرد،وتفرده نابع من ربط الدلالة الصوتية للحركات وبخاصة ظاهرة الجمال الصوتي فيها بالدلالة النحوية،وربط الدلالة المجازية للحركات بالدلالة النحوية كذلك.وأيضا ربط الخفة والثقل في الحركات بدلالة الحركات نفسها،فما كان ثقيلا منها ارتبط بدلالة الثقل،وماكان خفيفا منها ارتبط بدلالة الخفة.وكل ذلك يعد بحثا سيميائيا نفيسا في دراسة الحركات .

وإذا ما اتجهنا صوب القدماء في توجيههم الخفة والثقل في الحركات ألفينا انه نابع أيضا من عملية الجمال الصوتي لهذه الحركات،فالفتحة عندهم هي أخف الحركات والكسرة أثقلها،والضمة تحتل مرتبة الوسط،فهذا ينطلق من أساس أعماق الإنسان،فالكلام المفتوح يروق لما يوحي به من حركة ونشاط وحيوية،والكلام المكسور الذي يشير إلى الانهزام والخشوع،أما الكلام الذي يدل على التراكم والتفاقم والركود والسكون فهذا يشير لامحالة للضم.(٧٢)

واستنادا لكل ماقيل نستطيع أن نقرر باطمئنان أن الحركات الإعرابية وبخاصة الفتحة والضمة والكسرة ليست حركات شكلية جيء بها بصورة اعتباطية،بل وضعت بعناية فائقة،من خلال مقاصدها الدلالية السيميائية العميقة،وربط طبيعة هذه الحركات بالجهد النطقي المبذول فيها،كل ذلك يُمكِّننا من بناء صرح نحوي متميز،

" يكشف لنا الستار عن النحو القديم الأصيل الذي بنى عليه العربُ القدماءُ لغتَهم،فأصبحت مطابقة لأغراضهم: عقلهم وشعورهم وأحاسيسهم ،أي بكلمة واحدة مطابقة للحياة."(٧٣)

سيميائية مصطلح الجزم:

إذا كانت الحركات الإعرابية الثلاث قد أخذت نصيبا وافيا من الحديث ،فجدير بنا أن نتطرق إلى علامة الجزم (السكون)؛لأنها لا تقل شأنا عن الحركات الإعرابية المتقدمة.

جاءت لفظة (جزم) في المعجم بمعنى (القطع)،وفي ذلك يقول الزمخشري : " جزمت ما بيني وبينه:قطعته،وجزم اليمين :قطعها البتة، .... وقلم جزم:مستوي القطر،لا حرف فيه."(٧٤)،وجاء في القاموس المحيط : " جزمه يجزمه:قطعه،واليمين:أمضاها،والأمر قطعه قطعا لا عودة فيه،والحرف أسكنه وعليه : سكت،... والجزم في

الخط:قطع عن تسوية الحروف والقلم لا حرف له،وهذا الخط المؤلف من حروف المعجم لأنه جزم،أي :قطع عن خط حمير..."(٧٥)

أما في الاصطلاح النحوي فقد عرَّف النحويون الجزم بأنه " حذف حركة أو حرف من آخر الفعل بعامل الجزم."(٧٦)،ويظهر بوضوح أن المفهوم الاصطلاحي للفظة الجزم قد استعير من المفهوم اللغوي،ففي كليهما جاءت اللفظة بمعنى (القطع)،مع الأخذ بنظر الاهتمام أن معنى(قطع الشيء)في المفهوم اللغوي قد تخصص في المفهوم الاصطلاحي بقطع الحركة أو الحرف من المجزوم،لذا انتقل معنى اللفظة من عموم قطع الشيء إلى خصوص قطع الحركة أو الحرف،وتحولت اللفظة بفعل هذا الانتقال إلى مصطلح نحوي،وعلاقة المشابهة بين المعنيين هو اقتطاع جزء ما(٧٧).قال ابن منظور في هذا الاتجاه : " المبرد:إنما سمي الجزم في النحو جزما لأن الجزم في كلام العرب القطع،يقال:افعل ذلك جزما،فكأنه قطع الإعراب عن الحرف. "(٧٨)وهذا ملحظ دقيق تلمَّس فيه ابنُ منظور علاقة المشابهة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي للفظة الجزم.

من هنا يتبين لنا أن دلالة الجزم تتشكل سيميائيا كالتكشل الدلالي للفتحة والضمة والكسرة،فدلالة الجزم التي تدل على القطع والبتر والإزالة،وحسم الشيء وقطعه ،كلها دلالات تشير إلى التخلص من الشيء،وانتهائه،حقيقة أو مجازا،وهذا هو ما يحدث فعلا للعلامة الإعرابية في حالة الجزم،من حيث إزالة الحركة وحذفها أو عدم الحركة أصلا ،الذي يتجسد في علامة السكون.

واستنادا لما تقدم ذكره في سيميائية الحركات الإعرابية،فإننا نخلص إلى الآتي:

أ . ليست الحركة الإعرابية مجرد حركات شكلية لا قيمة لها،إذ لو كانت كذلك لما استطعنا فهم وظائف التركيب ،ولا فهم المعاني اللغوية المتشابهة ،ولا بيان غرض المتكلم.

ب . تؤدي الحركة الإعرابية وظيفتين رئيستين:وظيفة صوتية ووظيفة نحوية،وهناك وظيفة أخرى تتجسد في وجود علاقة متينة بين الوظيفة الصوتية والوظيفة النحوية.

ج . ترتبط الحركات الإعرابية ارتباطا دلاليا وثيقا بطبيعة الحركة الإعرابية من حيث الخفة والثقل،فما كان منها ثقيلا كانت المعاني التي تؤديها ثقيلة ،وماكان منها خفيفا كانت المعاني التي تؤديها خفيفة.

عصارة البحث:

أ . العلامة النحوية سيميائيا ليست ضيقة المفهوم ضيقة النظرة،وإنما هي علامة سيميائية شاملة،تحوي كل مكونات النحو العربي بمختلف جزئياته وكلياته،وبهذا نستطيع القول إن النحو العربي برمته يمثل علامة سيميائية كبرى ضمن إطار مستويات اللغة في صورتها العامة.

ب . إن دراسة النحو دراسة سيميائية تنقلنا من طور الضيق إلى طور السعة،فالنظرة السيميائية للنحو العربي تجعل الدارس يتذوق النحو ويدخل في دوائره من غير رهبة ،متلمِّسًا مواقعَه ومواضعَه؛مفسِّرا تلك المواقع والمواضع تفسيرا آخر يتوافق مع طبيعة النحو من حيث كونه معرفة فكرية نتجت بوساطة السيمياء.

ج . إننا من خلال الرؤية السيميائية للنحو نستطيع أن نتجاوز الإعراب من مفهومه الشكلي إلى مفهومه الأسلوبي الدلالي،أي ننطلق من الفهم الشكلي للإعراب إلى حالات الانسجام النصي الذي يتجلى في عملية تفعيل الدلالات وتحريكها تحريكا سيميائيا.

د . نستطيع أن نتوسع في مفهوم النظام النحوي . سيميائيا . من خلال دراسة المصطلح النحوي ودراسة الحركة الإعرابية إلى أفق سيميائي نحوي أوسع،فندرس أصول النحو وما يتصل به من قياس وإجماع ونحو ذلك دراسة سيمائية،والأصل والفرع النحويين،وربما نتوسع أكثر في دراسة الخلاف النحوي دراسة سيميائية أيضا.

فنجعل النحو بكل أنظمته التركيبية يتحرك حركة دائبة غير منقطعة تدور حول العلامات السيميائية منها تبدأ وإليها تنتهي.

هـ . من خلال ما تمت دراسته في هذه الورقة تبين أن النظام النحوي . سيميائيا . يعد معرفة ونتاجا فكريا مولَّدا من خلال تفعيل العلامات وتحريكها،ترتبط هذه المعرفة وهذا النتاج الفكري بكل مستويات النظام النحوي وبكل مكوِّناته.

هوامش البحث:

(١) سيمياء النحو:٣.

(٢) ينظر:العلامة في التراث اللساني العربي:قراءة لسانية وسيميائية:٩٢ . ٢٠٠،وعلم السيمياء في التراث العربي:٧١ . ٧٧.

(٣) سيمياء النحو:٦.

(٤)المصدر نفسه،وينظر:العلاماتية (السيمولوجيا):قراءة في العلامة اللغوية العربية:٨.

(٥) سيمياء النحو:٨.

(٦) سيمياء الأنساق:٨٣،وينظر:الإعلان التجاري في الصحافة السعودية:دراسة سيميائية:٤٤ . ٤٥.

(٧) سيمياء الأنساق:٧٢.

(٨) المصدر السابق:٩٧.

(٩) سيمياء النحو:٤٠.

(١٠) ينظر:المكونات السيميائية والدلالية للمعنى:آليات إنتاج المعنى في الخطاب السردي:١٤.

(١١) المصدر السابق:١٧ . ١٨.

(١٢) نظرية العامل في النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه:٣.

(١٣) النظام السيميائي للنحو العربي :دراسة في كتاب سيبويه:٩.

(١٤) سيمياء النحو:١٤.

(١٥) ينظر: الأسس النظرية في دراسة المصطلح النحوي:٢٤١،وأثر المجاز في تشكيل المصطلح النحوي:٧٩ . ٨٠.

(١٦) ينظر: علم السيمياء في التراث العربي:٦٩.

(١٧) ينظر: سيميولوجيا اللغة :١٨.

(١٨) ينظر: من إشكاليات المصطلح النحوي:١٢٩ . ١٤٠.

(١٩) الكتاب : ٢/ ١٨٦.

(٢٠) شرح ابن عقيل:٢٠٣/٢.

(٢١) المصدر السابق:٢٠٤/٢.

(٢٢) ينظر معاني القرآن (الأخفش الأوسط):١٧،١٨، ٢٩، ١٣٩ ، ١٤١ ،والمقتضب:١٧/١ . ٣٠ ،والأصول في النحو : ٣٤٤/١،وإعراب القرآن (أبو جعفر النحاس):٢١١/١.

(٢٣) ينظر:معاني القرآن للفراء:١٦٨/١.

(٢٤) ينظر:المصدر السابق:٢٠٧/١.

(٢٥)ينظر:المصدر السابق:٥٦/١، ٧١، ٨٧ ، ٨٨.

(٢٦) ينظر:المصدر السابق:١٩٣/١.

(٢٧) ينظر:المقتضب:٢٧٢/٣.

(٢٨) ينظر:من إشكاليات المصطلح النحوي:١٣٤.

(٢٩) ينظر:المصدر نفسه.

(٣٠) ينظر:المصدر نفسه.

(٣١) ينظر:المصدر نفسه.

(٣٢) الفروق اللغوية: ٥٥.

(٣٣) ينظر:من إشكاليات المصطلح النحوي:١٣٦.

(٣٤) من سورة البقرة: ١٧١.

(٣٥) روح المعاني:٢/٦٠٠.

(٣٦) الكليات:٩٠٧.

(٣٧) المصدر نفسه.

(٣٨) المصدر نفسه.

(٣٩) حاشية الخضري:٢/٥٤٠.

(٤٠) ينظر:مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو: ٢٣٨ ـ ٢٣٩.

(٤١) ينظر:المصدر السابق:٣٠٧ ـ ٣١٤.

(٤٢) سيمياء الأنساق:٨٧،وينظر:المعنى وبناء القواعد النحوية:٩٣.

(٤٣) ينظر:سيمياء الأنساق:١٠٤.

(٤٤) ينظر:دلائل الإعجاز: ٦٦.

(٤٥) سيمياء الأنساق:١٠٤.

(٤٦) ينظر:أثر المجاز في تشكيل المصطلح النحوي:٨٤.

(٤٧) أساس البلاغة : (مادة : ظرف):١ ـ ٤.

(٤٨) لسان العرب :مادة: ظ . ر . ف .

(٤٩) المصدر نفسه،وينظر:القاموس المحيط:٨٢٤.

(٥٠) رسالة الحدود النحوية:٢٢٨.

(٥١) ينظر:أثر المجاز في تشكيل المصطلح النحوي:٨٦.

(٥٢)المفردات في غريب القرآن:مادة: ع.ط.ف.

(٥٣) أساس البلاغة:مادة: ع.ط.ف.

(٥٤) رسالة الحدود النحوية:٢٢٩.

(٥٥) ينظر:أثر المجاز في تشكيل المصطلح النحوي:٨٨.

(٥٦) المصدر نفسه.

(٥٧) المصدر نفسه.

(٥٨) مباحث تأسيسية في اللسانيات:٨٢.

(٥٩) ينظر:العلاماتية(السيميولوجيا):١٦٥.

(٦٠) النظام السميائي للنحو العربي:دراسة في كتاب سيبويه:٢٠.

(٦١) نظرة جديدة في ترتيب الحركات في العربية:٧.

(٦٢) لسان العرب:مادة:ح.ر.ك.

(٦٣) المصدر نفسه.

(٦٤) ينظر: النظام السيميائي للنحو العربي:١٥٣.

(٦٥) ينظر:المصدر نفسه.

(٦٦) الحركة الإعرابية بين القيم الصوتية والقيم الدلالية:٢٧١.

(٦٧) المصدر نفسه.

(٦٨) ينظر:النظام السيميائي للنحو العربي:١٥٩.

(٦٩) المصدر نفسه.

(٧٠) المصدر نفسه.

(٧١) فلسفة الحركات في اللغة العربية:٧٠.

(٧٢) ينظر:المصدر نفسه.

(٧٣) ينظر:المصدر نفسه.

(٧٤) المصدر نفسه.

(٧٥) أساس البلاغة:مادة:ج.ز.م.

(٧٦) القاموس المحيط:مادة:ج.ز.م.

(٧٧) ينظر:أثر المجاز في تشكيل المصطلح النحوي:٨٥.

(٧٨) لسان العرب:مادة:ج.ز.م.

ثبت المصادر والمراجع

أولا:القرآن الكريم.

ثانيا:الكتب المطبوعة ،والرسائل العلمية،والأبحاث المنشورة:

١ . أثر المجاز في تشكيل المصطلح النحوي(رسالة الحدود النحوية لابن الجبراني مثالا)،د/غادة غازي عبدالمجيد،مجلة الأستاذ،جامعة ديالى .كلية التربية للعلوم الإنسانية،العراق،المجلد الأول لسنة ٢٠١٧م . ١٤٣٨هـ ،العدد٢٢٢.

٢. أساس البلاغة،ابن عمر الزمخشري(ت٥٣٨ هـ) ،بيروت:دار صادر ،ط١ ، ١٩٩٢م.

٣. الأسس النظرية في دراسة المصطلح النحوي،د/محمدذنون يونس ،مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية،جامعة الموصل . العراق ،المجلدد (٦) ، العدد (١).

٤. الأصول في النحو،أبوبكر بن السراج(ت ٣١٦هـ) ،تحقيق:د/عبدالحسين الفتلي،بيروت:مؤسسة الرسالة،ط٢ ، ١٩٨٧م.

٥. إعراب القرآن،أبو جعفر النحاس(ت ٣٣٨هـ)، تحقيق د/زهير غازي زاهد، بيروت : عالم الكتب،ط٢ ،١٩٨٥م.

٦. الإعلان التجاري في الصحافة السعودية:دراسة سيميائية،د/إيمان محمد ربيع،الرياض:مركز الملك عبدالله لخدمة اللغة العربية،ط١ ،١٤٣٦هـ . ٢٠١٥م.

٧. حاشية الخضري على شرح ابن عقيل،الشيخ محمد الخضري الدمياطي (ت ١٢٨٧هـ)،بيروت : دار الفكر،ط١ ، ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٣م.

٨. الحركة الإعرابية بين القيم الصوتية والقيم الدلالية،د/محمد سالم الرجوبي،مجلة الجامعة الأسمرية،العدد(٢٠)، السنة (١١).

٩ . دلائل الإعجاز،عبدالقاهر الجرجاني(ت ٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ)،تحقيق:محمود محمد شاكر،القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٢ ، ١٩٨٩م.

١٠. رسالة الحدود النحوية،ابن الجبراني(ت ٦٣٨هـ)،دراسة وتحقيق:زاهدة عبدالله محمد ،كلية التربية . جامعة الموصل . العراق ، مجلة التربية والعلم ،مجلد(١٢)،العدد (٣) ، ٢٠٠٥م.

١١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ابو الفضل إبراهيم السيد محمود الألوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ)،تحقيق وتقديم : الشيخ محمد أحمد الأمد ،و والشيخ عمر عبدالسلام السلامي ،بيروت:دار إحياء التراث العربي،ط١ ، ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م.

١٢ . سيمياء الأنساق،تشكلات المعنى في الخطابات التراثية،د/آمنة بلعلى،القاهرة:رؤية للنشر ةالتوزيع ،ط١، ٢٠١٥م.

١٣ . سيميولوجيا اللغة،اميل بنفست ، ترجمة:سيزا قاسم ، مجلة فصول ،المجلد (٣)، ١٩٨١م.

١٤. سيمياء النحو،أ.د/بهاء الدين عبدالوهاب عبدالرحمن ، http:ann7u.blog spot.com2014blog – post.html.

١٥. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، بهاء الدين عبدالله بن عقيل (ت ٧٦٩هـ)،تحقيق:محمد محيي الدين عبدالحميد،القاهرة: مطبعة السعادة،ط١٤، ١٩٦٤م.

١٦ . العلاماتية(السيميولوجيا)،قراءة في العلامة اللغوية العربية،د/منذرعياشي،كتاب الرياض ، العدد(١٦١) ، الرياض:مؤسسة اليمامة ،ط١ ، ١٤٣٠هـ. ٢٠٠٩م.

١٧. العلامة في التراث اللساني العربي،قراءة:لسانية وسيميائية،أ.د/ أحمد حساني،مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية ، الرياض:ط١ ، ١٤٣٦هـ. ٢٠١٥م.

١٨ . علم السيمياء في التراث العربي،دبلقاسم دفه ، مجلة التراث العربي، العدد (٩١)،رجب ١٤٢٤ هـ . أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٣م ، السنة (٢٣).

١٩. الفروق اللغوية،أبوهلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)،تحقيق: أبي عمرو عماد زكي الباروى ،القاهرة:المكتبة التوفيقية ،غ.ت ،غ.ط.

٢٠. فلسفة الحركات في اللغة العربية،أحمد الاخضر غزال،مجلة اللسان العربي ،المجلد (١٠)،الجزء الأول،الرباط،المغرب،المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي.

٢١. القاموس المحيط،الفيروز أبادي (ت ٨١٧هـ)،بيروت:دار المعرفة،ط٢ ،٢٠٠٧م.

٢٢. كتاب سيبويه،أبوبشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت١٨٠هـ)،القاهرة : المطبعة الأميرية ببولاق ،١٣١٦هـ (مصورة).

٢٣. الكليات،معجم في المصطلحات والفروق اللغوية،أبوالبقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت١٠٩٤هـ)

٢٤. لسان العرب،ابن منظور الإفريقي(ت٧١١هـ)بيروت :دار صادر،ط٣ ،٢٠٠٤م.

٢٥. مباحث تأسيسية في اللسانيات،عبدالسلام المسدي،تونس:مؤسسة عبدالكريم بن عبدالله،١٩٩٧م.

٢٦. مدرسة الكوفة،ومنهجها في دراسة اللغة والنحو،د/مهدي المخزومي،بيروت:دار الرئد العربي،ط٣ ،١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٢٧. معاني القرآن ،الأخفش سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ)،تحقيق : د/ عبدالأمير الورد، بيروت:عالم الكتب ،ط١ ، ١٩٨٥م.

٢٨. معاني القرآن، أبو زكريا الفراء ت(٢٠٧هـ)،تحقيق:محمد بن علي النجار ، وأحمد يوسف نجاتي،ط٣ ،١٩٨٣م.

٢٩. المعنى وبناء االقواعد النحوية،د/محود حسن الجاسم،مجلة جامعة دمشق،المجلد (٢٥)،العدد الأول والثاني،٢٠٠٩.

٣٠. المفردات في غريب القرآن،أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني(ت ٥٠٢هـ)، ضبط : هيثم طعيمي ،بيروت: دار إحياء التراث العربي،ط١ ،١٤٢٣هـ. ٢٠٠٢م.

٣١. المقتضب،أبو العباس المبرد (ت ٢٨٥هـ)،تحقيق:محمد عبدالخالق عضيمة ،بيروت : عالم الكتب ، غ.ت.

٣٢. المكونات السيميائية والدلالية للمعنى،آليات إنتاج المعنى في الخطاب السردي،د/الأطرش يوسف ،الملتقى الوطني الرابع : السيمياء والنص الأدبي .المركز الجامعي ،خنشلة.

٣٣. من إشكاليات المصطلح النحوي،د/سعيد جاسم الزبيدي ،جامعة نزوى،العدد الأول والثاني،رمضان،١٤٣٣هـ. ٢٠١٢م.

٣٤. النظام السيميائي للنحو العربي،دراسة في كتاب سيبويه(رسالة ماجستير)،أحمد عبدالسلام صالح السوادحة،جامعة مؤتة. الأردن:كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ،٢٠٠٣م.

٣٥. نظرة جديدة في ترتيب الحركات في العربية،د/عبدالله صالح بابعير،المكلا:دار حضرموت للدراسات والنشر،ط١ ، ٢٠٠٧م.